المحاضرة الثالثة: علم المفردات والمعجم.

ـ توطئة.

سجّل التاريخ ذكر الكثير من الأمم التي نشأت وترعرعت، لكن لا أثر للغاتها اليوم والسبب أنّها لم تدوّن لغاتها، لذلك فقد كان اكتشاف الخط والكتابة بعد ذلك بمثابة ميلادٍ للبشرية، حيث دوّنت أمم أخرى لغاتها، وخلّفت المعاجم التي بقيت شاهدة على وجودها في الزمان، نسعى من خلال هذه المحاضرة مقاربة إشكالية المفردات والمعجم.

1علاقة المفردة باللغة والمعجم.

الكلمة هي الوحدة الأساسية التي تقوم عليها اللّغة، والمعجم هو خزّان المفردات وديوانها، وهو عبارة عن قائمة من المفردات ومشتقاتها مرتّبة وفق نظام معيّن مع شرح لها، أو هو عبارة عن كتاب يحتوي كلمات مرتّبة ترتيبا معيّنا، إضافة إلى معلومات أخرى وتلك الشّروح يمكن أن تكون باللّغة نفسها أو بلغة أخرى.

ـ نظريّة المعجم هي في الواقع نظريّة المفردات، والمفردات هي جزء من بنية اللّغة، ومكوّن أساسي من مكوّنات نظامها.

ـ اللّغة نظام عام يتألّف من عدّة أنظمة جزئية؛ هي النّظام الصّوتي والنّظام الصّرفي والنّظام النّحوي والنّظام الدّلالي، حيث يتألّف من هذه النّظم مجتمعة النّظام العام للّغة الإنسانيّة أو النّظام اللّغوي للغة ما، وهذه النّظم في النّهاية تتمثّل في ثنائيّة التّركيب أو المبنى والمعنى.

ـ المعنى العام الذي يعني نظام القواعد لا ينطبق على الجمل فقط بل ينطبق أيضا على المفردات، وهذا يعني أنّ تحليل الوحدات المعجميّة صوتيّا و صرفيًّا و نحويًّا و دلاليًّا هو جزء من نظريّة المعجم.

2ـ المعاجم في حضارات الأمم القديمة.

هل وُجد المعجم في لغات الحضارات القديمة؟

إنّ البحث عن بدايات المعجمية في لغات الحضارات القديمة يكشف لنا عن منجزات هامّة يحفظها التاريخ القديم نحصي منها:

ـ ما خلّفه السومريون والأكآديون من لغة مكتوبة من السنة 1000ق م إلى 3400 ق م،

ـ ما جمعه الآشوريون أو ما يسمّى بحضارة الكلدان جُمعت لغة من أفواه الصنّاع ليضعوا كلماتها على قوالب الطين المجفف، ووضعوها على رفوف مكتبة بانيبال بقصر قورجيك في نينوى (668، 625 ق م)

ـ ما صنعه الساميون في جنوب الجزيرة العربية من جداول وخانات على ألواح من الفخار وفيها تمت مقابلة الكلمات بين البابلية والآشورية والأكادية، كان ذلك في ق 3ق م.

ـ ما برع فيه الصينيون القدامى من تأليف المعاجم وأقدمها معجم (بويبان) لكوبي وانج ومعجم (إيره ـ يا) وهي معاجم للمعاني والموضوعات،

ـ أمّا اليونانيون فمن مؤلّفاتهم معجم أبو قراط الألفبائي، 180 ق م، معجم يوليوس، بولكس، وقد أشبه المخصص لابن سيّدة.

إنّ وضع الفروق بين الكلمات من حيث المعنى والمبنى والتحرّي الدقيق، هو من صميم عمل علم المفردات.

3ـ مؤشّرات وأوّليات بحث المفردات في تراث العربية.

بعد روايات سلامة العربية في عهدها الأوّل، ثم اكتمال قوتها بنزول القرآن الكريم، ثم ظهور اللّحن زمن دخول الأعاجم، جاءت فترة الاهتمام بالعربية اهتماما علميا فقال ابن جني:" لمّا كانت الألفاظ للمعاني أزمّة، وعليها أدلّة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصّلة، عنيت العرب بها فأولتها صدرًا من تثقيفها وإصلاحها."

ـ الهدف هو رصد معاني الكلمات الغامضة (غريب القرآن)

في البداية تساءل العرب عن معاني الكلمات، ففي حديث "عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقد سُئل عن معنى كلمة الأبّ في قوله تعالى: (وَفاكِهَةً وَأَبًّا) عبس، 31. فكان السؤال بداية البحث عن معاني الكلمات، ورجّح المؤرّخون أنّ عبد الله بن عبّاس(ت68هـ) هو أوّل من اجتهد في هذا الباب، من خلال مؤلّفه " تفسير غريب القرآن "، فقد التف حوله جماعة يسألونه وهو يجيبهم بما أوتي من معرفة (جبير عكرمة) وكان الغريب.

ـ كتاب اللغات في القرآن جمعه عبد الله بن الحسين (ت386هـ) ونُسب لابن عباس أثبته مجاز القرآن لأبي عبيدة، وصحيح البخاري(256هـ)، وجمهرة اللّغة لابن دريد(ت321هـ)، ولسان العرب لابن منظور (711هـ)، فهذه الكتب جميعها تثبت نسبة النصوص لابن عبّاس.

روي من إجابات ابن عبّاس قوله لنافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر: (سلاني عمّا بدا لكما، فقال نافع: أخبرني عن قوله تعالى: (عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ) المعارج 37، قال العزون: حلقُ الرّفاق، قال وهل يعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاؤوا يُهرعون إليه حتّى يكونوا حول مِنبره عزينا،

أورد السيوطي في الإتقان عن ابن عباس قال:

"يُؤمنون ـ يصدقون/ يعمهون ـ يتمادون/ مُطهّرة ـ من القذر والأذى/ الخاشعين ـ المصدّقين بما أنزل الله/ يتمطّى ـ يحتال/ أترابا ـ في سنّ واحد: ثلاث وثلاثين سنة/ متاعا لكم ـ منفعة/ مرساها ـ منتهاها." وكما هو ملاحظ من خلال هذه المرويات اللّغوية أنّ مضمون الكلام هو شرح كلمات مأخوذة من القرآن الكريم، وهي تطبيقات خالصة.

4ـ المدرسة العربية معاجم وقواميس، مناهج وطرائق في رصد مفردات اللغة.

تنوّعت مصنّفات العرب اللّغوية تنوّعا منقطع النظير فهي بين:

ـ رسائل جمعت ألفاظ قطاعات مختلفة دارت في حياة العرب،

ـ معاجم عامّة جمعت عموم اللغة،

ـ معاجم متخصّصة حوت ألفاظ العلوم والفنون،

ـ هي في العصر الحديث دراسات حول هذه المعاجم، ومحاولات بعث للمعجم في القرون المتأخّرة من تاريخ العربية.

وإذا اتّفق علماء العربية في الغالب على جمع أكبر عدد من المفردات، التدقيق في مصادر الجمع وتحديد المستوى اللّغويّ، ثم التعريف بالكلمات، فإنّ الدافع إلى كلّ ذلك هو الحفاظ على جوهر اللّغة خوفا من ذهابها، فكان الهدف هو جمع معاني المفردات وتوحّدت كلّ تلك الأعمال لتكون مدرسة واحدة؛ موحّدة الهدف واللغة، متنوّعة الطرائق والمناهج.

أ/ معجم العين:(الخليل بن أحمد الفراهيديّ ت 175هـ 791 م)

ـ **الخليل بن أحمد الفراهيدي**، معجم العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السّامرّائي، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ، بيروت لبنان، 1988م.

قدّم الخليل " رؤية لسانية شاملة لنظم العربية أصواتا وصرفا ونحوا ومعجما " اعتمد الترتيب ليبدأ بالعين وليس بالهمزة لما يلحقها من النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنّها لا تكون في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدّلة، ولا بالهاء لأنها خفية لا صوت لها. والهدف من تأليف معجم العين حصْر ألفاظ اللغة العربية واستيعاب كلام العرب الواضح والغريب.

ـ تفريع المعاني من المعاني طريقة الخليل (لفظة العقيقة)

ملاحظة: إبحث في المعاجم عن نماج لطرق التفريع.

ـ خطّة حسابية دقيقة اعتمد فيها نظام التقليب (تقليب الثنائي والثلاثي والرباعي)

ـ استخراج قانون المهمل والمستعمل مع تحديد معانيه في لغة العرب.

ب/ معجم الجيم لأبي عمرو الشيباني.

هو من علماء الكوفة لم يبدأ معجمه بحرف الجيم، بل رتّبه ترتيبا ألفبائيا بحسب حروف الهجاء، كما أنّه لم يراع ظواهر الصوت والاشتقاق، بل جاء ترتيبه بسيطا تتوالى فيه الكلمات ببساطة.

ملاحظة. لكم أن تبحثوا مجموعة معارف حول المعجم في السياق.

ج/ معجم الغريب المصنّف، أبو عبيد الله القاسم بن سلاّم الهرويّ ت223هـ.

اتّخذ أبو عبيد في معجمها منهجا بين الخليل وأبي عمرو الشيباني، فقسّم المعجم إلى مجالات هي باب خلق الإنسان، النساء، اللباس، الأطعمة، اللبن، الأمراض، الخيل، السلاح، الطير، الهوام، رتّبها حسب الموضوعات والمعاني، وسمّى كلّ مجال كتابا، اعتنى فيه بالغريب الذي وصل إلى علمه. ويُقِرّ المعجميون المحدثون أنّ الغريب المصنّف هو جمع لأعمال سابقة من مؤلفات قطرب ابن المستنير ت206 هـ، أبو زكريا يحي الفرّاء ت207 هـ، أبو عبيدة معمر ابن المثنّى ت210 هـ، الأصمعيّ عبد الملك بن قريب ت214، أبو زيد الأنصاري ت215 هـ.

د/ ديوان الأدب، الفارابي، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم ت350 هـ

يُنسب المعجم مكانا ل" بُخارى عاصمة السامانيين، والتي كانت تعجّ بالعلماء، أو بغداد قبلة العلماء، لكن قُرئ معجم البلدان بمدينة فاراب التركية.

وكان على من يفكر في وضع معجم أن يشق بنفسه طريقا جديدا، ويرسم منهجا فيه إفادة، وفيه ابتكارا وجدّة. وحينما نظر الفارابي في معاجم السابقين اهتدى إلى موطن الداء فيها، أراد أن يؤلّف معجما يفوق معاجم السابقين، ويتلافى أوجه النقص فيها، فاعتمد نظام الأبنية ومنه فهو يقوم على نظام الأبنية.

5ـ البارع لأبي علي القالي:

وصف المعجم:

بنى القالي "معجم البارع" على حروف المعجم، وجمع فيه الكثير من كتب اللّغة، وما يُحمد له، أنّه عزا كلّ كلمة إلى قائلها من العلماء كما اختصر الإسناد والنقل، وهو يشتمل على خمسة آلاف ورقة، لم يأتِ العلماء المتقدمين والمتأخرين بنظيره سواء في الإحاطة أم في الاستيعاب. غير أنّه تُوفّي قبل أن ينقّحه، فاستُخرجه من بعده من الرّقاع والصُّكوك رُفع إلى المستنصر الذي شجعه .

ومن أهم المصادر التي اعتمدها أبو علي القالي في هذا المؤلّف، رسائل الخيل، والإبل، وخلق الإنسان، والنبات للأصمعي، كتاب النّوادر لأبي زيد الأنصاري، مع كتابي اللّغات والغرائز، كتاب التّذكير والتّأنيث لأبي حاتم السجستاني، كتاب كنز الحفاظ، وإصلاح المنطق لأبن السكيت، كما ذكر مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وكذا الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلاّم وغيرها.

لم تبق الأيام من هذا الكتاب الذي جاء في أربعة وستين ومئة جزء كما ذكر ابن خير الإشبيلي، ويضم أربعة آلاف وأربعمائة وستة وأربعين ورقة، لم يبق منها إلاّ ثمانية أحرف فقط من مجموع الأبجدية العربيّة كما قسّمها المؤلّف، جاء البتر في مواقع كثيرة من حروف الهاء، والغين، والعين، والقاف، والخاء، والدال، والطاء، والتاء.

ـ المقدمة وأسباب التأليف.

بضياع مقدمة المعجم نشأت فرضيات أسباب التأليف لخصها الدارسون في:

ـ1 أُلّف البارع لسد الفراغ في المكتبة االأندلسية،

ـ2 أنّ الخليفة الناصر أمر القالي أو أشار إليه بهذا التّأليف، وعاود النّظر فيه بأمر أمير المؤمنين وتأكيده عليه، فعمل فيه من سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، فأخذه بجدٍ واجّتهادٍ وكمل له، وتوفي القالي قبل إتمام ما تبقى من البارع.

ـ 3 ألف القالي معجم البارع للرد على المفضل بن سَلَمَة والذي كان قد ألف معجما رد فيه على الخليل في معجمه العين، فكان أقرب إلى معجم العين.

. منهج البارع.

كانت طريقة العين في التّأليف قائمة على الأسس التالية:

_نظام التّرتيب على مخارج الحروف الصّوتية.

_نظام الأبنية.

_نظام التّقاليب.

فما كان من القالي إلا أن اتبع نهج السابقين، حيث لم يبتدع نمطاً مخالفاً، وهذا ما أُخذ عليه، مع بعض التّغييرات في البارع، والتي خالف بها العين.

ـ خالف الخليل في تقدير مخرج الصوت، فكان التّرتيب كما ورد في المخطوطتين:
"ه ح ع خ غ ق ك ض ج ش ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م و ا ي".
ـ الثنائي المضاعف وسماه (الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة).
ـ الثلاثي الصّحيح.
ـ الثلاثي المعتل.
ـ الحواشي والأوشاب.
ـ الرباعي.
ـ الخماسي.
وهما متوافقان في الأبنية، ما عدا باب الحواشي والأوشاب الذي أُبدل في البارع بالثلاثي اللفيف في معجم العين.
اعتماد التّقاليب التي هي من إبداع الخليل وذلك من أجل حصر لسان العرب.

والملاحظ أنّ العامل المشترك بين هذه المعاجم جميعها، هو جمع لسان العرب الذي أراد (ابن منظور-1311م،1232م) الإفريقي أن يجعله لسان العرب الخالد بعملية الجمع الواسعة.